في أعقاب الحرير
محمد تامر
Mona Sabry
أحبة الضاد

في أعقاب الحرير

محمد تامر

أجنحة الضاد

تصنيف العمل: رواية

المؤلف \ ة: محمد تامر السيد

تصميم الغلاف: منى صبري

الاخراج الفني: منى وجيه

دار احبة الضاد للنشر الالكتروني

رئيس مجلس الإدارة:

سلمى جمال هدير إبراهيم

أحبة الضاد

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله

لله الشكر والحمد والفضل على سائر نعمه عموماً، وعلى نعمة إلهامه لي بإتمام هذا العمل الأدبي خصوصاً،

وهو الموفق والمستعان.

اللهم انصر إخواننا في فلسطين، وثبت أقدامهم وانصرهم على أعدائهم وخاذليهم.

اللهم آمين.

****

تنويه

هـذه قصـة فلسـفية فـي المقـام الأول، لـيس هـدفها أن تكسـر توقعاتـك بأحـداث صـادمة أو تخلـب لُبـك بعـوالم ميتافيزيقيـة ذاخـرة بالسـحر والخيـالات الفانتازيـة، وإنمـا هـي بكـل بسـاطة قصـة هادئـة ومسـالمة بمعنـى الكلمـة، هـدفها الرئيسـي هـو أن تلهـب وجـدانك ومشـاعرك بمـزيج صـنعته بشـغف مـن الرومانتيكيـة والفلسـفة، تتخللـه عذوبـة الليـل البـارد وأنغـام الساكسفون، ورقة الحرير ونعومته!

****

إهداء

إلـــى زوجتـــي المســـتقبلية العزيـــزة، قبلـــة حانيـــة وبعد...

كعـــادتي أُحَيِّيـــكِ بقبلاتـــي، وأذكـــركِ بأنـــك علـــى رأس قائمـــة ملـــذاتي، وأخبـــركِ أنـــكِ غـــدوتِ محركـــاً لروحـــي، كمـــا أن محركـــا جســـدي همـــا طعامي وشرابي !

اليـــوم يـــا غرامـــي ونيرانـــي، أهـــديكِ قصـــتي القصـــيرة الأولـــى، وعملـــي الأدبـــي الثالـــث، بعنـــوان "فـــي أعقـــاب الحريـــر"، وهـــذه المـــرة ســـتكون القصـــة موجهـــة إليـــكِ أكثـــر مـــن ذي قبـــل، وستكتشـــفين عنـــدما تســـنح لـــكِ فرصـــة قراءتهـــا أن هـــذا الحريـــر الـــذي يســـعى إليـــه بطـــل

الحبكـــة وأســـعى إليـــه أنـــا أيضـــاً هـــو أنـــتِ يـــا حريري !

أنـــتِ بولعـــك بالثقافـــة والموســـيقى موضـــوع قصـــتي، والحريـــر هـــو وصـــفي لكمـــال أنوثتـــكِ وبهائهـــا، حبـــكِ حريـــر وعقلـــكِ حريـــر وملمســـكِ حريـــر وكـــل ذرة فـــي كيانـــك المعنـــوي والمـــادي حرير !

لـــن أطيـــل الإهـــداء إذ أن القصـــة كلهـــا لـــكِ إهـــداء، ولا أود أن يزعجـــكِ هـــذا يـــا حلـــوتي؛ فأنـــتِ تعلمـــين أننـــي لا أســـتطيع الكـــف عـــن إغـــراق نفســـي عمـــداً فـــي حبـــكِ والتغـــزل فيـــكِ، يـــا خمـــري ويا سُكري، ويا شغفي ويا وعيي!

الفضول

في ليلة مظلمة ذات قمر وهاج، وتحديداً في غرفة بأحد الفنادق الراقية التي يذهب إليها كل من يملك أموالاً طائلةً لا يعرف علام ينفقها، استيقظ شاب فاحش الثراء يمقت المال، ونفسه!

نظر حوله فرأى زجاجة نبيذ ممتلئة عن آخرها بالقرب من السرير - ولم تكن قد فُتِحَت بعد - وتذكر أنه هو من اشتراها، لكنه اختار أن يَدَّعِي نسيان ذلك بينه وبين نفسه!

وعندما تابع التجول ببصره في أرجاء الغرفة؛ رأى ثوباً نسائياً أحمر اللون من الحرير ملقى على الأرض، وعليه ورقة طويلة مثنية، ومسدس!

فتح عينيه عن آخرهما وشعر برهبة تعتريه، وقام مسرعاً وهو يزدرد لعابه بقلق شديد ليعاين ما رآه، كان الثوب نظيفاً براقاً زكي الأريج، لكن المسدس كان مناقضاً لكل ذلك بلا شك!

وما زاد من قلقه أنه كان يذكر صاحبة الثوب؛ وهي فتاة حسناء شديدة الإغراء والجمال - ليس بالنسبة إليه - قبلت أن تقضي معه في الفندق ليلة...ممتعة، رغم أنها كانت في الواقع ليلة مهذبة؛ فزجاجة النبيذ لم تُفتَح حتى، وهو لا يتذكر من الأساس أنه لمسها! - أي الفتاة

قاوم صاحبنا خوفه، والتقط الورقة بيدٍ ترتجف وفتحها، ووجد بها رسالة أثنى في

نفسه على الخط الذي كُتِبَت به، ثم شرع يقرأ محتواها:

"سأعترف بأن هذه أول ليلة أقضيها في حياتي مع رجل دون أن ينظر إلى جسدي، أو يأمرني أن أتعرى قبل أن أنفر منه وأهم بالهرب، أو حتى يلمسني من الأساس؛ وهذا ما دفعني إلى فعل ما أفعله الآن.

لا تقلق بشأني فأنا بخير، والمسدس يخصني إذ أني تملقت أحد أولئك الذين واعدتهم ليلاً ليأتي لي بواحد؛ كي أقتل به نفسي أو أقتل من تسول له نفسه لمسي رغماً عني!

وقد مرت الأيام وحاولت طرد الفكرة من رأسي عل أمراً يحدث ويغير كل هذا، إلى أن قضينا الليلة الماضية معاً والتي أحيت الأمل بداخلي مجدداً، والآن أصارحك

برغبتـــي وهـــي أن نقضـــي واحـــدة أخـــرى ســـوياً، لكني أريدها أن تكون مميزة بعض الشيء!

دعنـــا نلعـــب لعبـــة علـــى مـــدار تلـــك الليلـــة، إن كنـــت تـــود أن تقضـــي معـــي ليلـــة أخـــرى أنـــت أيضـــاً فعليـــك أن تثبـــت لـــي رغبتـــك تلـــك بـــأن تلعـــب معـــي، أعـــرف أننـــي أبـــدو ســـخيفة ولكنهـــا لعبـــة ســـتجعلك تكتشـــف المزيـــد عنـــي، وتجعلـــك تشعر أنني امرأة شيقة!

رغـــم أننـــي أشـــعر بأنـــك قـــد تشـــمئز منـــي بعلمـــك أننـــي قضـــيت ليـــال عـــدة مـــع رجـــال، لكـــن صـــدقني حينمـــا أقـــول لـــك أننـــي أشـــمئز منـــي أكثـــر ممـــا تفعـــل، وأن حيـــاتي خاويـــة لدرجـــة جعلتنـــي أحـــاول شـــغلها باللـــذات؛ ظنـــاً منـــي أن هـــذا هـــو الحـــل، لكنـــي فـــي كـــل مـــرة كنـــت أعـــود إلـــى

صـــوابي بمجـــرد أن ينفـــرد الرجـــل بـــي؛ فيرحـــل عني ساخطاً!

أتعرفـــه؟ ذلـــك الشـــعور الـــذي يـــراودك عنـــدما تكـــون فارغـــاً مـــن الـــداخل أنـــك بحاجـــة إلـــى تجربـــة شـــيء جديـــد حتـــى لـــو كـــان ضـــدك وضـــد قناعاتك وكودك الأخلاقي؟!

علـــى أي حـــال، إن أول ســـر قـــد عرفتـــه هـــو أمـــر مسدســـي، وإذا أردت أن تتـــابع اللعـــب فابحـــث فـــي الغرفـــة عـــن عنـــوان مـــدون لمكـــان مـــا، وركـــز فـــي التفاصـــيل المرفقـــة واذهـــب إليـــه بحثـــاً عـــن ســـر آخـــر مـــن أســـراري، وســـتكرر هـــذا حتى تصل إلى نقطة النهاية: الحرير"!

كانـــت هـــذه نهايـــة الرســـالة الطويلـــة التـــي تعجـــب صـــاحبنا مـــن صـــبر صـــاحبتها علـــى كتابتهـــا، وعنـــدما وصـــل إلـــى جملتهـــا الأخيـــرة ضـــحك

ساخراً، وترك الورقة وقام مبتعداً وهو يقول: "تظن نفسها مميزة...كلهن كذلك! كأن ما لفت انتباهها حقاً لم يكن أموالي"!

لكنه قبل أن يخرج من الغرفة عقد حاجبيه إثر ذكرياتٍ غير ودودة عاودته؛ فعاد ينظر إلى الورقة الملقاة على الأرض بتركيز، ثم اقترب والتقطها مجدداً لكن من جهتها الأخرى هذه المرة؛ فرأى عنوان مكتبة في شارع قريب وبجانبه أيضاً عنوان كتاب ورف محدد له؛ فقال لنفسه ساخراً:

"خط يدوي جميل، عنوان مكتبة، عنوان كتاب...هذا الأمر يبدو غريباً وممتعاً بقدر ما هو مثير للسخرية"!

لكن فضوله أجبره ألا يرى الأمر مجرد مزحة سخيفة من صاحبته، وعاوده شعور

القلــق أن يكــون قــد أصــابها مكــروه، إضــافة إلــى قلقــه مــن الشــعور بالــذنب إن صــح ذلــك الظــن وذكريــات زارت عقلــه فجــأة، كانــت تلــك هــي الأســباب التــي دفعتــه إلــى ارتــداء ملابســه والتأهب للذهاب إلى المكتبة.

وكــان القلــق علــى نفســه هــو الآخــر مــن الخطــر هو ما دفعه لأخذ المسدس معه قبل خروجه!

****

الثقافة

وصل صاحبنا إلى المكتبة بعد بضع دقائق، ودخلها ليتوجه إلى الرف المطلوب ويأخذ الكتاب المحدد - والذي كان "قصة الفلسفة" لكاتبه "ويل ديورانت" - ويفتحه دون اكتراث كبير لمحتواه باحثاً عن الورقة التي تحوي الرسالة الثانية ليجدها ورقة طويلة مثنية وممتلئة عن آخرها بالحروف؛ ما حذا به أن يعلق ساخراً:

"يبدو أنها لم تكن تعاني من كتابة موضوعات التعبير الإنشائي في المدرسة!"،

ثم يشرع في قراءتها:

"إذن فقد وت رسالتي الثانية؛ ولذا فلن أبخل عليك بجزء جديد من قصتي، وسأحكيه عبر

إجابتك عن سؤال لا بد أنه الآن يدور بخلدك: ما سر خطي المهذب وكتاباتي الطويلة؟!

الأمر أنني لست إنسانة سطحية كما قد تساورك الظنون؛ بل مثقفة متعلمة هاوية القراءة والمطالعة؛ وهذا ما حذا بي في وقت ما من حياتي أن أجود خطي وكتاباتي؛ مُحاوِلَةً بذلك أن تكون لي ولو تجربة واحدة مثل أولئك الكُتَّاب الذين تملأ أعمالهم المكتبات.

لكن حلمي لم يتحقق للأسف نظراً لعدة ظروف لا أود أن أخوض في الحديث عنها الآن...لكن ربما أفعل إن حدث وأحببتني؛ حينئذ أقص عليك كل شيء!

لكـــن رغـــم ذلـــك ســـأخبرك باختصـــار أنـــه لـــم يقـدرني أحـد حـق قـدري علـى الإطـلاق، لـم يأبـه أحـــد بمـــا أحـــب أو أفعـــل...لا أخفـــي عليـــك شـــهوتي للاهتمـــام التـــي لا بـــد أنـــك لاحظتهـــا بالفعل من رسالتي الأولى!

بأيـــة حـــال، دعنـــي أخبـــرك أننـــي أهـــيم عشـــقاً بالفلســـفة علـــى وجـــه الخصـــوص ضـــمن فـــروع المطالعـــة والعلـــم، رغـــم أننـــي أؤيـــد تركيـــز المـــرء علـــى أن يحيـــا حياتـــه بعفويـــة أكثـــر مـــن تفكيـــره المســـتمر والمهلـــك لعقلـــه بهـــا، لكـــن لعنـــة التفكيـــر لا تـــرحم بأيـــة حـــال وتخلـــق فـــي عقـــل المـــرء أســـئلة أكثـــر مـــن الإجابـــات، لكـــن مـــا يميـــز الفيلســـوف عنـــا نحـــن البشـــر هـــو أنـــه لا يحـــتفظ بمعاناتـــه لنفســـه بـــل يقـــرر مشـــاركتنا إياهـــا، دعنـــي أقـــل لـــك أننـــا كلنـــا ملعونـــون بـــالتفكير

ولـــدينا رؤىً مختلفـــة عـــن الحيـــاة، لكـــن التـــاريخ يـــذكر فقـــط مـــن كانـــت لـــديهم الجـــرأة للبـــوح بأفكارهم تلك !

وددتُ بينـــي وبينـــك لـــو أن التـــاريخ يـــذكرني أنـــا الأخـــرى...لكن الأمـــر حقـــاً أســـخف مـــن أن أتحدث عنه أكثر من ذلك!

...لـــن أوجـــع رأســـك بمزيـــد مـــن التفاصـــيل، هـــا هـــو ذا ســـر قـــد عرفتـــه عنـــي، فـــإن كنـــت تـــود إكمـــال اللعبـــة انظـــر إلـــى الورقـــة الثانيـــة فـــي نفـــس الكتاب في صفحة [...]، وتابع رحلتك"!

انتقـــل صـــاحبنا إلـــى الصـــفحة الهـــدف ووجـــد بالفعـــل ورقـــة بهـــا عنـــوان لمكـــان بالمدينـــة يُـــدعَى "نادي العُشَّاق"، وملاحظةً نَصُّها:

"اســـأل النـــادل عـــن رســـالة تركتهـــا ســـيدة حريرية"!

انتهـــى صـــاحبنا مـــن القـــراءة وبـــدأ يفكـــر فـــي الأمر بشكل أعمق وبصوت عالٍ:

"أَهِـــيَ حقـــاً خاويـــة كمـــا الحمقـــاوات اللائـــي عـــرفتهن مـــن قبـــل أم أنهـــا مفهومـــة بشـــكل خـــاطئ حقاً؟"!

الواضـــح أن لـــديها عقـــلاً غريبـــاً يشـــبه عقـــول نخبـــة المثقفـــين الـــذين يعـــرف صـــفاتهم بحكـــم نشـــأته، لكـــن مـــا الـــذي قـــد يـــدفعها لقضـــاء ليـــالٍ مـــع رجـــال؟ ذَكَـــرَتْ ســـابقاً أنهـــا تشـــعر بـــالخواء وعـــدم المعنـــى وهـــذا شـــعور يفهمـــه صـــاحبنا بالمناســـبة، لكن...كيـــف لصـــاحبة عقـــل جميـــل مهـــذب كهـــذا أن تشعر...بالخواء؟ !

المهم أنه تأكد الآن أنها بالفعل ليست من هذا النوع الكلاسيكي من الحسناوات خاويات الروح اللائي ينتشين بالخمر وتقديس الرجال لأجسادهن؛ بل هي أعمق وأثمن من ذلك بكثير على ما يبدو، وكونها تشعر بخواء يدفعها لفعل ما تفعله يعني أن أمرها حقاً به درجة ما من العمق ربما لم تنكشف بعد!

وهكذا يتوجه بطلنا نحو وجهته التالية!...

****

الموسيقى

وصل صاحبنا إلى وجهته التالية، إلى نادي العشاق؛ وهو مكان أُوجِدَ في المدينة بالحب لأجل الحب، وقليل من يعرفونه لأن الحب شحيح هذه الأيام كما نعلم !

كان مكاناً يجتمع فيه المحبون والمغرمون والهائمون بأحبابهم، وسط أجواء رومانسية تفوح بالمشاعر الحارة والعطور الطيبة والموسيقى الساحرة، وكان مسموحاً أيضاً للأفراد بالدخول وحدهم ليستمتعوا بأحاديث ومغازلات العشاق كتسلية للروح، أو ليتحسروا على ما فاتهم من نشوة العشق والهوى!

اتخـــذ صـــاحبنا مقعـــداً؛ فأتـــاه النـــادل يســـأله عـــن مـــراده؛ فأجابـــه بـــه؛ فـــأخرج ورقـــة مثنيـــة مـــن جيبه وناولها له قائلاً:

"لا داعـــي لأن تطلـــب شـــيئاً بالمناســـبة؛ فالســـيدة دفعت لك ثمن الجلوس".

عقد صاحبنا حاجبيه ورد:

"لا بأس إذن، سأبقى هنا وحدي في سلام"!

ابتســـم النـــادل وابتعـــد تاركـــاً صـــاحبنا يقـــرأ الرســـالة وحـــده علـــى أنغـــام الموســـيقى الرومانتيكيـــة التـــي كـــان عبيرهـــا يفـــوح فـــي المكـــان والآذان وقـــد طغـــت علـــى تكوينهـــا أنغـــام الساكسفون الرقيقة والمغرية :

"لا بـــد أنـــك قـــد وصـــلت بالفعـــل وجلســـت وحادثـــت النـــادل، لـــم أتخيـــل أنـــك قـــد تفعـــل كـــل

هـذا لأجلـي...لا أعـرف فـي الواقـع مـا إذا كانـت هنالـك فائـدة مـن كتـابتي لهـذه الرسـائل فـي نهايـة المطاف أم لا!...

المهـم، دعنـي أحـدثك عـن جانـب آخـر منـي وهـو غرامـي بالموسـيقى، كتلـك التـي لا بـد أنـك تسـتمع إليهـا فـي المكـان الآن، هنالـك نغمـات ساكسـفون سـاحرة أليـس كـذلك؟ نـادراً مـا تخلـو موسـيقاهم منـه؛ فهـو علـى وجـه الخصـوص ذو أنغـام مغريـة ومثيـرة، ومهيجـة للمشـاعر إن كنـت سـأبالغ ولكـن بشـكل هـادئ، دعنـا نقـل أنـه أداة فحش مهذبة !

المهـم أننـي لا أود الإطالـة فـي الحـديث عـن الساكسـفون كجـزء وأنسـى الحـديث عـن الكـل والأهم: الموسيقى!

إن شـــاعريتها حقـــاً آســـرة، أقـــول عنهـــا دائمـــاً أنهـــا صـــــوت الـــــروح؛ إذ أن الأذنـــــين بالنســـــبة بهـــــا وســـيلة لا غايـــة، بـــل غايتهـــا الـــروح، مـــن المثيـــر للشـــغف أنهـــا تخـــرج بصـــورتها اللاماديـــة مـــن الآلات، ومـــن خـــلال الأذن الماديـــة تـــدخل إلـــى الـــروح اللاماديـــة، كأنهـــا عـــادت إلـــى وطنهـــا بشكل ما !

تليـــق الموســـيقى بالرومانســـية جـــداً والعكـــس صـــحيح؛ الأنغـــام تحكـــي حكايـــاتٍ وتتغنـــى بمشـــاعر لا تقـــدر أفصـــح الألســـنة علـــى التعبيـــر عنه، هي امتداد للغة الحب، و...

أنت مستمتع، أليس كذلك؟ !

علـــى أيـــة حـــال، هنـــا تنتهـــي رســـالتي الثالثـــة كـــي لا أطيـــل عليـــك، وقـــد عرفـــت عنـــي أمـــراً جديـــداً،

والآن أظـــن أن الوقـــت قـــد حـــان لجائزتـــك الكبرى الأولى: الحرير !

ومن ثم جائزتك الكبرى الثانية: أنا !

فقـــط اتبـــع العنـــوان علـــى ظهـــر الورقـــة؛ وستجده؛ وسيدلك علي!

عنـــدما تصـــل؛ اســـأل البائعـــة عـــن ثـــوب ابتاعتـــه الســـيدة الحريريـــة، أظنـــه لقبـــاً غامضـــاً وشـــيقاً ألـــيس كـــذلك؟ ألا يجعلـــك مفتونـــاً بـــي أكثـــر؟! المهـــم، لا تقلـــق بشـــأن المـــال فهـــو مجـــدداً علـــى حســـابي، وقـــد أخبرتهـــا أن شخصـــاً ســـيأتي ويوصله لي، وبالطبع سيكون أنت !

وفـــي الثـــوب، وبـــين ثنايـــاه الحريريـــة الرقيقـــة؛ ستجد رسالتي الأخيرة"!

قلـــب صـــاحبنا الورقـــة؛ ليجـــد عنوانـــاً لمتجـــر ثيـــابٍ نســـائية قـــد دُوِّنَ عليهـــا، ولـــيس بعيـــداً جـــداً عن مكانه الحالي...

إنها تعجبه!

هـــي حقـــاً لا تعبـــث، هـــي حقـــاً تريـــده رغـــم أن مســـتواها الثقـــافي يبـــدو أعلـــى مـــن مســـتواه بكثيـــر، هـــي بأفعالهـــا تلـــك لا تتكبـــر عليـــه بـــل تتذلل له أن تعجبه، ويبدو أنها قد نجحت!

هـــي ليســـت فتـــاة خاويـــة كمـــا تظـــن نفســـها أو كمـــا ظنهـــا هـــو، ربمـــا أوهمتهـــا الأيـــام بـــأن اهتماماتهـــا وثقافتهـــا ســـخيفة غيـــر شـــيقة، لكنـــه الآن يـــرى العكـــس تمامـــاً حتـــى ولـــو كـــان الوحيـــد الـــذي سيرى ذلك !

وهكـــذا، بعـــد أن مـــرت بضـــع دقـــائق تســـلى فيهـــا بالتنصـــت علـــى بعـــض المحادثـــات الغراميـــة فـــي المكـــان، قـــام صـــاحبنا قاصـــداً وجهتـــه التاليـــة: متجر الثياب، والحرير!

****

الحرير

وصل صاحبنا إلى متجر الثياب، ودخل ليبحث عن البائعة المذكورة في رسالة الفتاة إلى أن وجد امرأة شعر أنها هي المنشودة؛ فاقترب منها وحياها، ثم سألها عما أخبرته الفتاة أن يسأل عنه؛ فأومأت البائعة برأسها علامة الفهم وقامت لتحضر ثوباً من الحرير الأحمر الرقيق يشبه كثيراً ذاك الذي كان ملكاً للفتاة في الفندق، وقالت له مبتسمة:

"يبدو أن السيدة حقاً تحب المفاجآت"!

بادلها صاحبنا الابتسام ورد قائلاً:

"نعم، يبدو هذا حقاً"!

فأردفت بخبث: "ويبدو أنها تحبك جداً"!

ضـــحك صـــاحبنا ضـــحكة وقـــورة خفيضـــة وأومـــأ لهـــا أن أجـــل، ثـــم أخـــذ الثـــوب وخـــرج مـــن المتجـــر، وجـــال ببصـــره باحثـــاً عـــن مكـــان يجلـــس فيـــه ليخـــرج الرســـالة ويقرأهـــا إلـــى أن وجـــد مقعـــداً ثابتـــاً علـــى أحـــد جوانـــب الطريـــق؛ فتوجـــه نحـــوه وجلـــس لـــيفض الثـــوب باحثـــاً عـــن الرســـالة، وعنـــدما وجـــدها أخيـــراً بـــداخل أحـــد الأكمـــام فتحها، وشرع في قراءتها :

"عزيـــز جـــداً علـــى قلبـــي ومـــثلج لصـــدري وصولك إلى هذا الحد، وإلى هذه الرسالة !

ولكننـــي أعتقـــد أنـــك لـــم تعـــد غريبـــاً بعـــد الآن؛ وبناء عليه لم يعد هنالك داعٍ للمقدمات!

هـــذه المـــرة أحـــدثك عـــن الحريـــر، وعـــن قـــوى الأنثـــى النابعـــة مـــن جوهرهـــا...لا بـــد أنـــك ستحب ذلك!

تعرف بالطبع أن الحرير هو أكثر خامات الثياب نعومة ورقة، وأزعم أنه أفضل ما يمكن أن أرتديه كأنثى كونه يعكس حقيقتي، وما ينبغي أن أتمسك به من طبيعتي، وإن كنت سألخص لك ما أود قوله عن طبيعتي وحقيقتي كأنثى فسأفعل في كلمة واحدة: النعومة!

والآن، أَبسُطُ لك الكلمة !

إن النعومة هي الأمر المشترك بين الحرير والأنثى؛ وأما عن الحرير فنعومته تقتصر على الملمس وحسب، وأما عن الأنثى فنعومتها تتلخص في تعبير واحد: كونها على حقيقتها، كونها أنثى!

والآن، أَبسُطُ لك التعبير !

إن نعومة الأنثى هي مكمن قوتها وسطوتها، وهي مجموع عوامل تنبثق من جوهرها الرقيق؛ فأقول لك أن الأنثى الحريرية الحقيقية هي أنثى ناعمة البشرة والملمس، والصوت، والطباع، والعقل، والمعشر، والأهم أنها حَيِيَّةٌ بشكل لا يتعارض مع كل ما سبق !

هذه هي قوة الأنثى الحقيقية، وهذا هو التزامها بحقيقتها الجميلة التي تبعث الرقة والمرح في كل ما يحيط بها، وليست قوتها على الإطلاق نبذها لأنوثتها أو تشبهها بالرجال، هذا في نظري تعرٍّ من الأنوثة !

أجمل الإناث هن اللائي...يَكُنَّ إناثاً بكل بساطة !

هـذا مـا كـان لـدي لأقولـه فـي رسـالتي الأخيـرة تلـك، تهانينـا؛ لقـد ربحـت الحريـر كجـائزةٍ أولى، وربحتني كجائزة ثانية!

هـاك عنـواني، علـى ظهـر الورقـة، تعـال إلـي ولا تخشـى كـوني وحيـدة؛ لـن أقتلـك أو أجبـرك علـى فاحشـة أو أجـرك إليهـا، أنـت الآن تعلـم يقيناً أنني ما كنت لأفعل ذلك "!

إثـر انتهائـه مـن قـراءة تلـك الكلمـات؛ أحـس صـاحبنا فجـأة بنعومـة وطمأنينـة غـريبتين تجريـان فـي أوصـاله، وتسـلل إلـى أنفـه أريـج فـواح جميـل لا يـدري لـه مصـدراً، لكنـه فهـم بعـد بضـع ثـوان أن هـذا بـالطبع مـن تـأثير خيالـه وفيضـان مشـاعره النـاجم عـن قراءتـه لهـذه الكلمات العذبة وحسب !

إنـــه يحبهـــا...لا شـــك فـــي ذلـــك، بـــل ويغمـــر قلبـــه الشوق للقائها الآن !

وهكـــذا قلـــب صـــاحبنا الورقـــة ليـــرى عنوانهـــا، ثـــم شرعت قدماه تحملانه تجاهها...

وهذه المرة كانتا تحملانه بسرعة الملهوف!

****

الليل

وصل صاحبنا أخيراً إلى منزل صغير من طابق واحد، لكن عمارته الخارجية الجذابة والحديقة المزهرة التي كان يتوسطها وكونه وحيداً في منطقة شبه خالية من البشر كانت أدلة كافية على أن صاحبه يتمتع بقدر لا بأس به من الثراء، وبقدر هنالك بأس كبير به من حب العزلة!

تنقل صاحبنا ببصره في الحديقة؛ فرأى عدداً ليس بقليل من الأشجار والأزهار ذوات الأريج الزكي، وقال لنفسه ممازحاً إياها:

"يبدو أنها أخفت عنك حبها للطبيعة، ربما غيرت رأيها فيك"!

وبعد أن أنهت عيناه جولتهما في المكان؛ تقدم صاحبنا مقترباً من باب المنزل ودق جرس الباب.

مرت بضع ثوان قبل أن تفتح له الفتاة نفسها الباب، وإثر رؤيتها له اتسعت عيناها عن آخرهما وفغرت فاها غير مصدقة؛ فمازحها صاحبنا الذي لاحظ ردة فعلها قائلاً:

"لم تأتِ لي أبداً على ذكر حبكِ النباتات، هذا يجرح مشاعري نوعاً ما"!

تحولت ملامحها من دهشة وعجب إلى فرحة غريق أتاه طوق نجاة، وزينت ابتسامة واسعة وساحرة ثغرها وهي تقول:

"لم أكن لأخبرك بكل شيء بالتأكيد! اعذرني فقط...أنا لا أصدق حقاً أنك أتيت"!

وفجأة تداركت مزيداً من أبعاد الموقف؛ فعادت إلى الداخل وهي تشير إليه بالدخول قائلة:

"أنا حقاً آسفة، أين أخلاقي؟! تفضل"!

تبعها، وعندما أصبحا بالداخل أجلسته الفتاة على أريكة مريحة بالصالة، ثم جلست أمامه على واحدة مقابلة تمعن النظر في عينيه اللتين سحرهما المكان وأخذتا تتنقلان فيه كأنهما غرقتا في دوامة في الفن؛ لوحات على أغلب الجدران لا يعرف رساميها أو معانيها، وكتب متناثرة في أرجاء متفرقة، إضافة إلى مشغل موسيقى عتيق جداً لا بد أنها ورثته إذ أنه لم يعد يُباع اليوم على الإطلاق، وتفاصيل أخرى لم يكن قد أمعن

تأملهـــا قبـــل أن تنتزعـــه كلماتهـــا مـــن تركيـــزه وتأمله:

"لم أتخيل أنك قد تأتي...أو ربما فعلت"!

عقد صاحبنا حاجبيه ورد مازحاً:

"حـــديث غريـــب ممـــن أمضـــت ليلهـــا فـــي تـــرك رسائل متسلسلة لي في أرجاء المدينة"!

ضحكت وهي ترد:

"نعم، كان الأمر ممتعاً بصراحة"!

-مـــا أراه هنـــا أنـــكِ أقســـمتِ بينـــك وبـــين نفســـك علـــى مـــا يبـــدو أنـــكِ ســـتجرين قـــدميَّ إلـــى هنـــا، أعلـــم أنـــكِ نجحـــتِ وأهنئـــكِ، لكـــن هـــل لـــي أن أســـألكِ مـــا إذا كنـــتِ فعلـــت هـــذا الأمـــر مـــع غيـــري سابقاً؟!

=كـلا، أنـت أول مـن أخـوض معـه هـذه التجربـة الظريفة...الغريبة!

-قبـل أن نـدخل فـي تفاصـيل أخـرى أود سـؤالكِ عن شيء ما...

أخرج صاحبنا المسدس من جيبه وسألها:

"ما هذا؟"!

ابتسـمت الفتـاة بهـدوء وثبـات غـريبَين وهـي ترد:

"أصـطحبه دائمـاً كاحتيـاط؛ كخـط فاصـل بينـي وبـين الرذيلـة؛ إن صـدرت مـن غيـري قتلـتُ، وإن صدرت مني انتحرتُ!

-اللعنة...ولكن لِمَ تركتِهِ معي؟!

=لأنـك...لم ترغـب بلمسـي حتـى! كنـتَ أول مـن منحنـي الاحتـرام والنظـرات المهذبـة؛ فلـم

أشـــعر أنـــك أعطيـــت اهتمامـــاً لجمـــالي علـــى حســـاب كيـــاني، بـــل وددتَ فقـــط أن تقضـــي ليلـــة...وربما وددتَ وحســـب أن تجـــد الحـــب، مثلي!

-وما الذي يجعلكِ متأكدة جداً من ذلك؟!

=لا أدري...ربما حدسي!

-حدسكِ؟! حدسكِ جعلكِ...

=أجـل! وعـن المسـدس فقـد تركتـه معـك لأنـي وثقـت بـك لتـأتي وتنقـذني مـن نفسـي، علـى مـن أكـذب هنـا؟! إننـي أحـاول اصـطناع عـدم يقينـي بقدومك لكنني حرفياً راهنت بحياتي عليه!

-لكن...أكـان الأمـر يسـتحق؟! مـا هـي حقـاً مشكلتكِ؟!

=ربما أردتُ أن أشعر أنني مهمة ومثيرة للفضول وحسب، وربما لأنني أعاني من جمالي الأخاذ الذي لم يجعل أحداً يسترق النظر إلي إلا لأجله، فكيف لي أن أطمع حتى بالحب؟!

رغم كل ما حولي ورغم إمكانياتي وثقافتي وذائقتي الفنية ومواهبي إلا أنني...دائماً ما شعرت بالخواء! وهكذا حاولت كثيراً أن أملأه دون جدوى بتجارب ومشاعر جديدة و...قادتني هذه الرغبة والجوع إلى المعنى لتجربة الرذيلة، والبحث عن الشهوة والمتعة! لكن في كل ليلة كنت أكتشف أن بوصلتي الأخلاقية أقوى مما ظننتها عندما يرحل لشخص كل مرة ساخطاً عليَّ من الملل،

وغاضباً أنني لم أكن العاهرة التي تمنى أن أكونها!

عندما وصلت إلى هذا الجزء من حديثها أجهشت فجأة بالبكاء، لم يعلم صاحبنا ما ينبغي عليه أن يفعل في مثل هذه الحالات وبالطبع لم يود على الإطلاق أن يلمسها، ليس هي بالذات!

ومرت بضع ثوان قبل أن يقرر الارتجال، وبدأ يحاول مواساتها قائلاً: "لكنكِ أنتِ كأنتِ أجمل مما تظنين نفسكِ حتى، هذا ما أراه على الأقل، هذه الليلة حقاً جعلتني أشعر أنكِ...مميزة"!

رفعت عيناها الدامعتين ناظرة إليه وقد هدأت دموعها؛ فأردف وهو راضٍ أن حديثه بدأ يهدئ من روعها: "فقط اهدئي، أنا لا أعتقد

أنني أختلف عنكِ كثيراً بالمناسبة؛ فالخواء ذاته الذي تتحدثين عنه قد أصابني وغير لي حياتي حتى لو بشكل مختلف عنكِ نوعاً ما، لكني أظن أن النتيجة واحدة في حالتينا...حكايتي أن والدي كان ثرياً جداً وعندما مات ورثت عنه ماله، وهو إرث لو تعلمين حقير جعلني ألومه على ثرائه المادي على حساب ثرائه الإنساني!

بلا مبالغة، كان والدي عبارة عن ثلاجة بشرية !

كانت لدي مثلكِ أحلام وطموحات وددت أن أملأ روحي بها، لكن...كان هذا هو إرثي للأسف: الخواء!

خواء لم أعلم مثلكِ كيف أقضي عليه؛ فسلكتُ مثلكِ أيضاً درب الشهوة وكل هذه

الأمـــور؛ فواعـــدت الفتيـــات لســـنوات طـــوال، لكـــن فـــي كـــل تجربـــة لـــم يحـــدث بينـــي وبـــين كـــل فتـــاة مـــنهن ســـوى تـــودد أو تلامـــس بســـيط، وغالبـــاً مـــا ينتهـــي الأمـــر بهـــا تطلـــب منـــي نصـــف الكـــرة الأرضية كهدية مقابل أن نستمر معاً!

وبـــالطبع كنـــت دائمـــاً قـــادراً علـــى ذلـــك لكنـــي لـــم أفعلـــه أبـــداً؛ بـــل كنـــت أقطـــع هـــذه العلاقـــات؛ فلـــيس مـــن أطرافهـــا مـــن أحبتنـــي لجـــوهري أو ذاتـــي؛ كلهن أردن مالي وحسب!

لـــم أعلـــم حقـــاً أيـــن كـــان عقلـــي عنـــدما ارتكبـــت حماقات كتلك!

ومثلـــكِ مجـــدداً بالمناســـبة كانـــت بوصـــلتي الأخلاقيـــة دائمـــاً حاضـــرة، حتـــى فـــي لقائنـــا منـــذ بضـــع ســـاعات تـــذكرين بـــالطبع زجاجـــة الخمـــر التي اشتريتها ولم نلمسها حتى!

كل ما أردته حقاً...كان شخصاً مثلكِ"!

شعرت الفتاة بإطراء شديد؛ فبدأت ابتسامتها تعود بالتدريج وهي تسأل:

"وما الذي جعلك تراني مميزة ودفعك إلى مسايرتي في...ما ارتكبته من سخافات منذ بضع ساعات؟"!

-في البداية قبلتِ دون مال ووجدتكِ تودين قضاء وقت ممتع وحسب، وأيضاً رأيت ذلك لنفس السبب الذي جعلكِ تفعلين ما فعلتِه وهو أنني شعرتُ أنكِ لستِ كبقية من واعدتهن؛ ففكرت أن أصارحك بإعجابي عندما نستيقظ ورغبتي بأن...نكون أصدقاء على الأقل لبعض الوقت!

لكـــن نـــومي كـــان ثقـــيلاً إثـــر كـــابوس لا أذكـــره حتـــى؛ فاســـتيقظت غيـــر مســـتوعب للعـــالم مـــن حـــولي، وعنـــدما رأيـــت رســـائلك شـــعرت بصراحة أنكِ...مجنونة!

أوه، لا تسيئي فهمي الآن، اتفقنا؟!

حســـناً...قررت بعـــدها أن ألعـــب لعبتـــك تلـــك بـــداعي الفضـــول، وأعتـــرف أنـــكِ حقـــاً أَثَـــرتِ كـــل مـــا يمكـــن أن يُثَـــار فضـــوله بكيـــاني، ومـــع كـــل رسالة قرأتها لكِ شعرت أنني أحبكِ أكثر!

تـــوردت وجنتاهـــا خجـــلاً إثـــر اقتحـــام كلماتـــه لقلبها؛ فأكمل وقد سَعِدَ بتأثير حديثه عليها:

"أنـــا أفهمـــكِ؛ أردتِ مـــن يحبـــكِ لأجـــل عقلـــكِ وكيانـــكِ ولـــيس جســـدكِ أو جمالـــكِ، ولا يختلـــف هـــذا كثيـــراً عمـــا أردتـــه أنـــا الآخـــر، وبالفعـــل

أحبـــكِ لأجلـــكِ أنـــتِ وأكـــاد أصـــبح مفتونـــاً بـــكِ، يبدو أننا نكمل بعضنا"!

نظـــرت إليـــه بامتنـــان جعـــل عينيهـــا تلتمعـــان كـــدرتين مـــن اللؤلـــؤ، وقالـــت لـــه وهـــي تقـــوم مـــن مجلسها:

"تعـــال نتأمـــل معـــاً الســـماء علـــى ســـطحي، لـــم أخبرك بعد أنني أهيم حباً بالليل وسمائه".

ابتســـم صـــاحبنا وهـــز رأســـه موافقـــاً، ثـــم قـــام ليتبعهـــا عبـــر ممـــر ضـــيق بـــآخره درج صـــغير يقـــود إلـــى ســـطح المنـــزل الـــذي كـــان ارتفاعـــه متواضـــعاً – كمـــا أســـلفنا – وكانـــت قـــد وضـــعت كرســـيين علـــى الســـطح، وعنـــدما أشـــارت لـــه بالجلوس أولاً قبلها صارحته:

"لـــيس لـــدي بالمناســـبة أصـــدقاء أو أحـــد يزورنـــي، دائمـــاً مـــا أجلـــس وحـــدي علـــى كرســـي

واحـــد، لكنـــي أحضـــرت أخـــراً الليلـــة كمـــا تـــرى لأن قلبي كان موقناً أن أمراً ما سيحدث"!

ضـــحك ضـــحكة خفيفـــة إثـــر إعجابـــه بثقتهـــا، وراقبهـــا وهـــي تتخـــذ مجلســـها بجانبـــه بـــدلالٍ أنثـــويٍ مغـــرٍ ومتعمـــدٍ، وظـــلا لبضـــع دقـــائق يراقبـــان القمـــر والنجـــوم والســـماء القاتمـــة كـــأنهم سيهربون من ناظريهم!

وفجـــأة مـــدت يـــدها تمســـك يـــده؛ فابتســـم دون أن ينظر إليها، وقالت هي بعد بضع ثوان:

"لا أدري لِـــمَ فعلـــتُ ذلـــك، إن حكيـــت هـــذا لأي أحد فلن يفهمني أبداً وسيظنني مجنونة"!

-أنا أفهمكِ، وأعلم لِمَ فعلتِه!

=يبدو أن هذا كافٍ بالنسبة إليَّ!

-رغم أن هذه قد تكون إحدى أكثر الليالي التي قضيتها في حياتي جنوناً وغرابة، لكن على الأقل كنتِ جزءاً منها!

=لقد تقابلنا حقاً في أوقاتٍ غريبةٍ جداً من حياتنا!

-فلنشكر الأقدار التي جمعتنا إذن!

=لا أودك أن تتركني أبداً!

-ما كنت لأفعل، ليس بعد أن وجدتكِ!

...=أشكركَ لأنكَ اهتممتَ لأمري حقاً!

-وأنا أشكركِ لأنكِ منحتِ حياتي طعماً!

تبادلا الابتسام بشغف لبضع ثوان، ثم عاد بصرها إلى السماء وهي تقول: "والآن، دعني أحدثك عن حبي لليل"!

-يـا ليـت؛ فـلا بـد أن لـذه سـماعكِ تتحـدثين عـن أمـر مـا سـيكون أعـذب وقعـاً علـيَّ بكثيـر مـن قراءة كلماتكِ عنه!

احمـرت وجنتاهـا للمـرة التـي لا تعـرف عـددها الليلة، وبدأت حديثها متجاهلة مغازلته خجلاً:

"رغـم قتامتـه، تظـل لليـل أنـواره المميـزة؛ كـأنوار الأنـس بـين العشـاق، والمـرح بـين الأصـدقاء، والـذكريات العذبـة بـين ثنايـا الأفكـار، لا يـزال الليـل يتبـاهى ببصـمته المميـزة وهـي مـيلاد الآمـال المنيـرة وسـط ظلماته!

أحـب السـماء المظلمـة جـداً، وأعشـق القمـر وأهـوى النجـوم، ومغرمـة بالثلاثـة حـين يجتمعون معاً!

وأزيـــدك مـــن الشـــعر بيتـــاً أننـــي أعشـــق أنـــوار المدينـــة لـــيلاً حينمـــا تجعـــل الشـــوارع كأنهـــا درر لوامع تزين ظلمات بحر لُجِّيٌّ"!

قطعـــت حـــديثها فجـــأة ونظـــرت إليـــه لتجـــده نـــاظراً إليهـــا بالفعـــل فـــاغراً فـــاه، فضـــحكت مـــن رد فعلـــه وسألته:

"أكان حديثي عذباً لهذه الدرجة؟"!

رد بنبرة توحي بالهيام وملامح تشع بالغرام:

"أنـــتِ أعـــذب شـــيء علـــى الإطـــلاق، أنـــتِ أعـــذب من الليل نفسه"!

ومجـــدداً، مارســـت وجنتاهـــا إثـــر رده هوايتهمـــا الجديدة لهذه الليلة: الاحمرار !

وابتســـمت وهـــي تقـــول لـــه بحنـــان: "أشـــكركَ لأنك اهتممت لأمري حقاً!

-وأنا أشكركِ لأنكِ أعطيتِ حياتي طعماً!

ابتسمت هذه المرة حتى كشفت عن أسنانها، وتبادلا الابتسام لبضع ثوان قبل أن يعود بصرهما ليذوب في فسحة السماء، ويتحد مع عذوبة الليل وأنوار الأجرام!

****